جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

المصطلحات الحجاجية في التراث العربي الأصولي

الدكتورة

هند رأفت السيد عبد الفتاح

المدرس بآداب عين شمس - قسم اللغة العربية
جمهورية مصر العربية

العدد الرابع والعشرون
للعام ١٤٤٢هـ / ٢٠٢٠م
الجزء العاشر

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢٠م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

المصطلحات الحجاجية في التراث العربي الأصولي

هند رأفت السيد عبد الفتاح

قسم اللغة العربية ـ كلية آداب ـ جامعة عين شمس - جمهورية مصر العربية

البريد الإلكتروني : dr.hend.raafat@gmail.com

الملخص

وات حجاجية ، فقد جاءت فى صورة روابط مفردة، وروابط مركبة.

ومن الروابط الحجاجية المفردة: حرف اللام الوارد للتعليل الحجاجى، وحرف الواو الحجاجى فى الجمل المذيلة للآيات، والحرف الناسخ (إنّ) منفردا، الذى أفاد معنى حجاجيا كذلك .

ومن المركبات الحجاجية ؛ المركبات الحجاجية الفعلية مثل: الحرف الناسخ (أنّ) المتصل بالفعل المضارع (أعلم)، إلى جانب حرف التحقيق (قد) المتصل بالفعل المضارع (نرى) والذى اتصل أيضا بالفعل الماضى (سمع) .

والمركبات الحجاجية الاسمية مثل: الحرف الناسخ (إن) المتصل بـــ (ما) ، و اسم الإشارة المتصل بحرف الجر الكاف (كذلك) واسم الإشارة المتصل بالجار والمجرور فى المركب الإضافي التعليلى (من أجل ذلك).

الكلمات المفتاحية : الحجاج – العوامل الحجاجية – الروابط الحجاجية – المركبات الحجاجية – البنيات الكلية .

The strategy of argument in the Holy Quran
(Study of persuasive factors and links)

Hind Raafat El Syed Abdel Fattah
Faculty of Arts , Ain Shams University, Arabic department, Arab Republic of Egypt.
Email: dr.hend.raafat@gmail.com

Abstract

One of the most important results of this study is that The Holy Quraan contains many factors and links. The persuasive factors relates to the overall structure of the text ,while the persuasive links relate to the internal structure of the text which related to the structural and grammatical functions.

Among the persuasive factors in the Holy Quran , Suras start with the verb(say) is reduced with each other through the style of mixing exile and proof ,the style of starting generalization and then following the assignment ,the style of detailing after the totality , and the contrast style.

Among the persuasive factors also is the connection of the beginning of Surat Al-Aaaraf to its end through the styles of nodding and theorizing.

Also of the persuasive factors is the connection Suras start with the verb (say), was reduced to the Al-Fatihah through the action – response technique.

As for the persuasive links in the Holy text , they are represented in the grammatical tools ,which were transformed by the context into persuasive tools. It has been devided into single and compound links.

Among the single persuasive links is the letter (Lam) mentioned for the persuasive explanation ,the letter (waw) mention for the persuasive explanation and the transcription letter.

Among the compound links is the transcript letter (that) connected to the present tense (know), the emphasis letter connected to the present tense (see)and the past tense (hear).

Also the compounds links is the transcript letter (that) connected to the tool (what) and the persuasive compound link (for that).

Keywords : Strategy of argument – Persuasive factors – Persuasive links – Argumentative compounds – Major structures .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

لعل أهم ما ينبغى الالتفات إليه هو التأكيد على دور العلماء العرب القدامى في ترسيم وإثبات نظرية لغوية حجاجية مكتملة الأركان؛ اشتملت هذه النظرية على مفاهيم تتصل بالدرس الحديث في الحجاج .

وفي هذا الشأن أشير إلى أن علماء أصول الفقه قد قدموا تراثاً حجاجياً لغوياً قيماً من خلال الكثير من الدراسات التي حازت قصب السبق في التوصل لمفاهيم حجاجية توازى المفاهيم اللغوية الحديثة في الحجاج.

أسباب اختيار موضوع البحث:

ويرجع السبب في اختيار موضوع هذا البحث إلى استهداف إبراز المساهمات العربية في دراسة الحجاج حيث إنها قد سبقت الدراسات الحديثة في عددٍ غير قليل من الأفكار والآليات المنهجية في الدراسات اللغوية من منظور علماء الأصول؛ فلا يخفي أن علم أصول الفقه من أوائل العلوم العربية التي ولدت ناضجة.

منهج البحث وإجراءاته:

وقد قام البحث على المقارنة بين الرؤى الحديثة والرؤى الأصولية للوقوف على ما يتوافق بينهما وعلى ما انفردت به كل رؤية. وقد تم ذلك على المحاور الآتية : الحجاج و المبنى الحجاجي و المعنى الحجاجي والأدوات الحجاجية والنص الحجاجي و أنساق الحجاج و السلم الحجاجي و مراتب الحجاج.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة في كونها تؤسس لاستقراء الدرس الحجاجي القديم في التراث العربي، بوصفه قد قدم نظرية حجاجية لغوية مكتملة الأركان، خاصة من خلال الجهود اللغوية لعلماء أصول الفقه؛ إذ قدموا العديد من المفاهيم الحديثة المتصلة بالحجاج والتي لم يلتفت إليها العديد من الباحثين.

هدف الدراسة:

وتهدف هذه الدراسة إلى استجلاء أوجه التشابه والتقاطعات بين الدرس الحجاجي العربي كما جاء في كتب القدماء من الأصوليين وبين النظريات الحديثة في الحجاج، في محاولة تهدف إلى تأصيل المفاهيم الحجاجية الحديثة وتعريبها من خلال النظر في مظانها في الدرس القديم.

مشكلة الدراسة:

تحاول هذه الدراسة الإجابة عن السؤال التالي :

هل كان الدرس الحجاجي القديم لدى العلماء العرب يتضمن تيارات حديثة تصلح لأن تكون نواة للتيارات الحجاجية في الدرس الحديث، وهل يمكن رصد هذه التيارات وترسيمها في مفاهيم محددة.

الدراسات السابقة:

١- القول الأصولي المالكي ومناهج الحجاج، الدكتور إدريس غازي بن محمد، مركز دراس بن إسماعيل، سلسلة أبحاث ودراسات / المجلد الثاني، المملكة المغربية، فاس /-١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

٢- العلاقة بين علم الحجاج وعلم أصول الفقه، الدكتور أحمد بن عبدالله بن محمد الضويحي ، مجلة العلوم الشرعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد ٣٠/ ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥م

٣- البعد التداولي عند الأصوليين الأحناف، الدكتورة ليلى كادة، مجلة سياقات، القاهرة، المجلد الثاني، العدد السادس / ١٤٣٨ه - أغسطس ٢٠١٧ م

٤- الأفعال الكلامية عند الاصوليين دراسة في ضوء اللسانيات التداولية /الدكتور مسعود صحراوي / مجلة اللغة العربية / العدد السابع والثلاثون / المجلس الأعلى للغة العربية / الجزائر/ ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م

٥- الحجاج في ضوء البلاغة القديمة والنقد الحديث، الدكتور عبدالرحمن بن حميدي المالكي، مجلة البحث العلمي في الآداب، جامعة عين شمس (كلية البنات) العدد التاسع عشر، شعبان ١٤٣٩ه - ٢٠١٨م

٦- أصول نظرية الحجاج عند العرب بين الممارسة والتنظير، الدكتور محمد يطاوى، مجلة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، جامعة أم القرى، العدد الحادى والعشرون، ١٤٣٩هـ - مايو ٢٠١٨م

وقد قامت هذه الدراسات السابقة برصد أوجه التشابه بين الدرس العربى القديم والنظريات الأوروبية الحديثة في الحجاج وخاصة الحجاج التداولي؛ إلا أن ما تميزت به هذه الدراسة التي بين أيدينا هو التركيز على الحجاج اللغوي عند الأصوليين ومدى استباقه للنظريات الأوروبية في طرح القضايا الحديثة الخاصة بالحجاج .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ومن هنا فإن هذه الدراسة قد تطرقت إلى مصطلحات حجاجية قديمة مثلت بذوراً وأصولاً للقضايا اللغوية الحديثة الخاصة بالحجاج مثل مصطلحات : مصطلح الحجاج وروافده (القصد – الإشارة – الأثر الحجاجي) والأدوات الحجاجية و المعنى الحجاجي والمبنى الحجاجي وأنساق الحجاج ومراتب الحجاج والسلم الحجاجي والنص الحجاجي.

مصطلح الحجاج وروافده (القصد - الإشارة – الأثر الحجاجي):

مما لاشك فيه أن غاية الدرس الحجاجي تكمن في إقناع الآخر والتأثير عليه وإن اختلفت سبل وأدوات هذا الإقناع عبر العصور والثقافات.

ويؤرخ الدرس الحجاجي الأوروبي للحجاج بدءاً من الفيلسوف اليونانى أفلاطون، الذى لم يجعل الحجاج علماً مستقلاً بذاته؛ إذ جعل مجاله علم الخطابة، ورأي أن هدف الحجاج في الخطابة هو الإقناع؛ والإقناع هنا يتقوّم من خلال اللذة لا من خلال قيم الحقيقة والخيروالحق، وكان هذا هو الأساس الذى بنيت عليه " الخطابة السفوسطائية التي اعتنت بمفهوم اللذة"(١).

ومن بعد أفلاطون جاء أرسطو الذى جعل الحجاج جنساً مستقلاً، وعرفه بأنه " جنسٌ حجاجيٌ ينشئه طرفان اثنان ... ويسمى أرسطو أحد الطرفين السائل والطرف الآخر المجيب، على أساس أن السائل هو الطرف المهم في الجدل بحسب أرسطو"(٢)؛ كون السائل هو الذى يوجه العملية الحجاجية.

---

(١) الحجاج عند أرسطو، هشام الريفي، (بحث ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى الآن)، إشراف: حمادي صمود، مطبوعات كلية الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس، ط١، ١٩٨٨م ١، صـ٦٣

(٢) نفسه، صـ ١٨

وفي الدرس الحجاجي في العصر الحديث، نلاحظ وجود ثلاثة اتجاهات في دراسة الحجاج، تتوزع بين التأثر بالمنحى الكلاسيكى لدى أرسطو و أفلاطون، وبين الثورة التامة على الاتجاه الكلاسيكى .

وأولى هذه الاتجاهات يتمثل في الدرس الحجاجي البلاغي لدى بيرلمان وتتيكاه في كتابهما المشترك : (مصنف في الحجاج)، وهو يمثل متابعة للدرس الكلاسيكي مع التجديد والتعديل؛ حيث ربطا الحجاج بالإقناع، وتابعا أرسطو في نزع أسلوب السؤال والجواب عن الحجاج .

كما جعلا الحجاج متصلاً بالخطابة بوصفها خطاباً يعتمد على الإقناع، ويبدو هنا تأثرهما بأفلاطون، إلا أن أهم ما يميز الدرس الحجاجي لديهما، كونهما نظرا إلى الحجاج بوصفه " نظرية تدرس التقنيات الخطابية كوظيفة حجاجية"(١).

وقد اعتمد الحجاج عند بيرلمان وتتيكاه على نوعين من الحجاج؛ الأول : الحجاج البرهاني الذى يعتمد على الاستدلال، وهو يختص بالاتجاه الفلسفي ومن ثمّ فإن " جمهوره ضيق وغايته هي بيان الحق، والثانى : حجاج أوسع من السابق يهتم بدراسة التقنيات البيانية التي تسمح بإذعان المتلقى "(٢).

وعلى هذا فإن الحجاج لدى بيرلمان وتتيكاه يجمع بين مفهومي الاستدلال الفلسفي والتقنيات البلاغية بهدف الإقناع على أساس أن الحجاج

(١) النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، محمد طروس، دار الثقافة، المغرب، ط١، ٢٠٠٥م ، صـ ١٥

(٢) الحجاج في البلاغة المعاصرة، محمد سالم، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط١، ٢٠٠٨، صـ ١٠٢

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

هو " دراسة تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدى بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة هذا التسليم "[١] .

الاتجاه الثانى والذى يمثل ثورة على الاتجاه الكلاسيكي وهو اتجاه الحجاج اللغوي لدى ديكرو وانسكومبر، اللذين قاما بتطوير مفهوم الحجاج من خلال ربط الحجاج بالوظيفة اللغوية مع تعميم هذا المفهوم على جميع أنماط اللغة .

وقد انطلقا من المقولة الشهيرة الخاصة بهما والتي مفادها " إننا نتكلم بقصد التأثير"[٢]، ومن ثم أصبحت اللغة هي الحجاج، وتحولت الأدوات اللغوية إلى أدوات حجاجية.

أما الاتجاه الثالث فهو الاتجاه الخاص بنظرية المساءلة لدى ميشيل ماير، الذى ربط الحجاج بأسلوب السؤال والجواب كما هو الحال لدى أرسطو، وهذا جانب من جوانب تأثره بالدرس الكلاسيكي، إلا أن السؤال لديه لم يكن سؤالا منغلقاً بل كان سؤالاً منفتحاً على احتمالات متعددة " تعبر عن الإمكانات المقترحة كإجابات قابلة للاستبدال فيما بينها وتأخذ هذه الإجابات شكلاً تعبيرياً مميزاً " [٣].

ومن ثم كان الحجاج لدى ماير يتم من خلال المزاوجة بين الصريح والضمني؛ الصريح يختص بالسائل والضمني يختص بالمجيب ومن هنا ارتبط مفهوم الحجاج لديه " بتحديد طبيعة الكلام في وظيفته التساؤلية؛ ذلك

---

(١) الحجاج أطره و منطلقاته، عبدالله صولة، (بحث ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى الآن)، إشراف : حمادي صمود، مطبوعات كلية الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس،ط١، ١٩٨٨م، صـ٣٠١

(٢) اللغة والحجاج، أبو بكرالعزاوي ، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٦، صـ١٨

(٣) نفسه، صـ ١٦

أن المساءلة من حيث هي عملية فكرية مؤسسة على سؤال وجواب تستدعى نقاشاً يولد حجاجاً"[١].

ولعل أهم ماقدمته نظرية ماير يتمثل في ربط الحجاج بالمنحى الوظيفي للغة "حسب مقاصد المقام والسياق "[٢] فقد رأي أن " المحاججة موجودة بقوة في التداول اللغوي إذ لا يخلو خطاب منها"[٣]؛ وهو الأمر الذى يتسق مع الاحتمالات المنفتحة الخاصة بالجواب.

والملاحظ أن ماير يتابع ديكرو في نظريته حين ربط الحجاج ببنية اللغة، إلا أن ماير قد اعتبر" اللغة إثارة للسؤال"[٤].

وإذا عرجنا على مصطلح الحجاج في الدرس الحجاجي لدى الأصوليين نلاحظ وجود مجموعة من المفاهيم التراثية التي يتقوم من خلالها مصطلح الحجاج والتي تحمل في داخلها نواة للتيارات الحديثة. و أول هذه المفاهيم، مفهوم القصد.

إذ يمثل مفهوم القصد رافدا من روافد المعنى المتأصل في تعريف مصطلح الحجاج؛ ذلك أن الحجاج مشتق من الفعل (حجّ) و "الحج هو القصد ... وحججت فلان إذا أتيته مرة بعد مرة، ورجل محجوج أي مقصود"[٥]

---

(١) اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، مرجع سابق، صـ ١٦

(٢) عنما نتواصل نغير- مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، عشير عبدالسلام، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء،ط١، ٢٠٠٦، صـ٢٠٥

(٣) نفسه، صـ ٢٠٥

(٤) نفسه، صـ ٢٠٥

(٥) لسان العرب، الإفريقي، ابن منظور، دار المعارف، القاهرة، ت : عبد الله علي الكبير- محمد أحمد حسب الله – هاشم محمد الشاذلي – سيد رمضان أحمد، ط١٤٠١،١هـ - ١٩٨١م ، ج٢ صـ٢٢٨

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ومفهوم القصد المكتن في معنى الحجة يتفق مع معنى القصد الذى أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ﴾[١] بمعنى " أنها تبلغ مراده "[٢]؛ أي قصده.

وقد تطور مفهوم القصد من كونه رافدا من روافد المعنى في مفهوم الحجاج إلى خصيصة تداولية في إطار الرسالة اللغوية الحجاجية وذلك عند علماء أصول الفقه .

حيث فرق علماء الأصول في تعريفهم للحجاج بين ظاهر اللفظ والمراد من اللفظ أي القصد؛ يقول ابن حزم عن الحجاج " هو إخبار كل واحد من المختلفين بحجته أو بما يقدر أنه حجته، وقد يكون أحدهما محقا والآخر مبطلا؛ إما في لفظه أو في مراده أو في كليهما "[٣].

ففرق ابن حزم بين المفهوم من ظاهر اللفظ، وبين مراد المتكلم أي قصده، وهنا يظهر الرافد التداولي في مفهوم الحجاج حين يسهم قصد المتكلم في إعطاء معنى خاص للفظ يختلف عن المعنى الظاهر الحرفي الذى يقدمه النص.

ولا شك أن اتصال مفهوم الحجاج بمعنى القصد عند علماء الأصول إنما يشير إلى بعد من أبعاد الدرس اللغوي الحديث، إذ إن القصد يمثل واحدا من المعايير النصية السبعة لدى دى بوجراند.

---

(١) القرآن الكريم، سورة الأنعام / آية ١٤

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، الألوسي، شهاب الدين السيد محمود شكري، ت : علي عبدالباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م ، ج٩/ صـ٢٠

(٣) الإحكام في أصول الأحكام، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبى علي الآمدي ، ت : عبدالرازق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت،ط٢، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٠ م ، ج١ صـ٤٥

كذلك فإن القصدية تعد إحدى روافد التداولية، وهي فرع حديث من فروع اللسانيات الحديثة تستهدف " اكتشاف السامع مقاصد المتكلم"(١).

حيث رأي كل من دى بوجراند ودريسلر " أنه يتوجب على منتج النص أن يكون قادرا على توقع استجابات المتلقين ويخطط لتوجيه النص نحو مقاصد معينة"(٢).

وعندما تختلف ردود أفعال المستمعين تجاه النص الملفوظ، فإن العبرة تكون " بإرادة المتكلم لا بلفظه "(٣)، كما قال ابن القيم، على أساس أن الأصل هو أن " الألفاظ لم تقصد لذواتها وإنما يستدل بها على مراد المتكلم " (٤)، أي قصده، ولا شك أن هذا الاختلاف الذى يثبته ابن القيم بين اللفظ وما يريده المتكلم من اللفظ إنما يرجع إلى أدوات المقام وآليات السياق .

ومن المفاهيم التي يتقوّم بها مصطلح الحجاج، مفهوما الإشارة والدلالة والتي يشير كل منهما إلى معنى المقام؛ الأمر الذى يدخل عامل المقام بوصفه رافدا من الروافد التي يتقوم بها مصطلح الحجاج .

وفي هذا يعرف القاضى الجويني الحجاج بقوله " إظهار المتنازعين مقتضى نظرهما على التدافع والتنافي بالعبارة أو ما يقوم مقامها من الإشارة والدلالة "(٥).

---

(١) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية، الأسكندرية، ط١، ٢٠٠٢م، صـ١٢

(٢) مدخل إلى علم لغة النص، تطبيقات لنظرية روبرت دي بو جراند وولفجانج دريسلر، إلهام أبو غزالة – علي خليل حمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،ط٢، ١٩٩٩م ، ص١٣٢.

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، ت: محمد عبدالسلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت،ط١، ١٤١١هـ – ١٩٩١م ، ج١صـ١٦٧.

(٤) نفسه، ج١ صـ ١٦٧.

(٥) الكافية في الجدل، أبو المعالي عبدالملك الجويني، ت: فوقية حسين محمود، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة،ط١، ١٩٧٩م، ص١٩

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ومن هنا فإن الدرس الحجاجي الأصولي أسبق من نظرية ماير التي انعقدت في ثمانينيات هذا القرن في ربط الحجاج بالجانب المقامي .

أما أبو الوليد الباجي صاحب كتاب المنهاج في ترتيب الحجاج، فقد ربط الحجاج بالاستدلال فقال : " الحجاج يعد علماً من أرفع العلوم قدراً وأعظمها شأناً لأنه السبيل إلى معرفة الاستدلال."(١).

ثم ربط الاستدلال بالقصد من خلال قوله :

" كل استدلال هواستخراج للمعنى من جهة شئ من الأشياء إما بالسؤال وإما ما كان بمنزلة السؤال "(٢)؛ فجهة استخراج المعنى المذكورة في التعريف تشير إلى قصد المتكلم ومراده في التعبير الأصولي.

والملاحظ أن القدماء لم يكونوا بمعزل عن هذا الفهم الذى يضمن دور الحجاج في تغيير معتقدات المتلقى بما أننا في مقام الحجاج . حيث قدموا للحجاج تعريفاً يتقوّم من خلال الأثر الحجاجي.

وهو تعريف إجرائى يضمن عملية التواصل بين المرسل الذى يقوم بالفعل الحجاجي أو السؤال الحجاجي وبين المتلقى الذى يستقبل هذا الفعل ويتمركز حول نقل المتلقى الذى هو الخصم من مذهب إلى مذهب من خلال الإقرار للمتلقى بصدق حججه عن طريق الشهادة للمعنى أنه حق وذلك بعد أن يتمكن المعنى من نفس المتلقى .

---

(١) المنهاج في ترتيب الحجاج، الحافظ أبو الوليد الباجي، ت: عبدالمجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٣، ٢٠٠٨، صـ ٩

(٢) الواضح في أصول الفقه، أبو الوفاء علي بن عقيل، ت : عبدالله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ج١ صـ ٤٥٤

وعلى هذا فقد عرف أبو الوفاء بن عقيل الحجاج بقوله هو "نقل الخصم من مذهب إلى مذهب وقيل من مذهب إلى غيره بطريق الحجة " [١] ثم قالوا: " وكل حجة فإن تأثيرها هو تمكن المعنى في النفس بالشهادة له أنه حق "[٢]

يقصدون بذلك تمكن المعنى في نفس المتلقى، لكى تتم العملية التواصلية بتقوّم الفعل الحجاجي من خلال التأثير في الآخر؛ هذا التأثير في الآخر يكون متمثلاً في فعل الإذعان والقبول؛ هذا الإذعان والقبول لا يتم إلا من خلال قناة الاتصال وهي اللغة بحيث يمثل هذا التأثر بالإذعان والقبول تصديقا لغوياً نسبة إلى اللغة لأنه لم يتم إلا من خلالها.

على أساس أن " الصورة الحاصلة من النسبة التامة الخبرية تصديق قطعاً فإن كان حاصلاً بالقصد والاختيار بحيث يستلزم الإذعان والقبول فهو تصديق لغوى "[٣]

فالقدماء قد عبروا عن الأثر الحجاجي من خلال مقولة التصديق ونسبوا هذا التصديق إلى اللغة بحيث تتماهي الوظيفة الحجاجية مع الوظيفة اللغوية بحيث يصبح كل منهما دالاً على الآخر، وهو الأمر الذى يتقاطع مع نظرية الحجاج في اللغة لدى ديكرو.

كما أن قولهم "الصورة الحاصلة من النسبة التامة الخبرية" يشير إلى تقوّم الحجاج من خلال أنماط اللغة المختلفة إلى جانب تقوّمه من خلال المعنى؛ إذ يقصدون بالصورة صورة المعنى وهو الأسلوب الذى تقوّمت من خلاله العبارة الحجاجية.

---

(١) الواضح في أصول الفقه، أبو الوفاء علي بن عقيل ، ج١ صـ ٢٧٩
(٢) نفسه ، ج١ صـ ٣٤١
(٣) روح المعاني، الألوسي، ج١صـ ١١١

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

مع ملاحظة أن العلماء العرب قد ساووا بين مصطلحات الجدل والحجاج والمناظرة؛ يقول الجويني إنه لا فرق بين الحجاج "وبين الجدل والمناظرة في الاصطلاح "(١).

المعنى الحجاجي و الحجج المجازية :

لعل أهم ما قدمه علماء أصول الفقه فيما يخص النظرية الحجاجية هو كونهم قد ربطوا الحجاج بالمعاني الحجاجية ، والمعاني الحجاجية في الفهم الأصولي العربي هي كل إثارة للمعنى – على ما سنرى – ومن هنا فقد جعل الفهم الأصولي العربي الوظيفة الحجاجية تتطابق مع الوظيفة اللغوية مما جعل مفهوم الحجاج مفهوما واسعاً يتطابق مع مفهوم اللغة.

ذلك أن الفكر الكلاسيكي الغربي المتكئ على الإرث الأرسطي، قد ربط الحجاج بالمعنى فقط ومن ثمّ كان الاستدلال المنطقي أو المنطق البرهاني الأرسطي الذى اهتم بالمعنى على حساب المبنى؛ إذ وجه كل اهتمامه إلى المعنى؛ ومن ثم قدم هذا المعنى من خلال طريقة لغوية واحدة بغير اهتمام بالبنية اللغوية وهي الطريقة المشهورة في المنطق الأرسطي، كما في قول المناطقة :

" كل إنسان فان

سقراط إنسان

سقراط فان "(٢).

---

(١) الكافية في الجدل، الجويني، صـ١٩

(٢) ابن رشد تلخيص القياس لأرسطو، ت: عبدالرحمن بدوي، السلسلة التراثية (١٧)، الكويت، ط١، ١٩٨٨م، صـ٦

إن قولنا إن النظرية العربية جعلت من الوظيفة اللغوية وظيفة حجاجية، يتقاطع في العصر الحديث مع ما قدمته نظرية العالم اللغوي الفرنسي ديكرو في ثمانينيات القرن .

حيث جاء في نظريته (الحجاج في اللغة) : " إننا نتكلم عادة بقصد التأثير"[١] على أساس أن اللغة "تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية"[٢].

هذا الفهم نستطيع أن نتبينه لدى علماء أصول الفقه؛ إذ إن أهم ما قدمه الأصوليون العرب القدماء فيما يخص الوظيفة الحجاجية للغة، هو ربط الاستدلال بإثارة المعنى ولما كان الحجاج هو السبيل إلى معرفة الاستدلال في الفهم الأصولي كما سبق أن أشرنا؛ فإن الحجاج يعد ضرباً من ضروب إثارة المعنى أيضاً، يقول أبو الوليد الباجي : "الاستدلال هو إثارة المعنى"[٣]، ومن هنا ربط القدماء مفهوم الحجاج بإثارة المعنى عبر مفهوم الاستدلال؛ الأمر الذى يجعل للوظائف اللغوية بوجه عام وظائف حجاجية، لأن ربط الحجاج بإثارة المعنى يشير إلى تعميم النمط الحجاجى على معانى اللغة ومن ثم ّأبنيتها، لأن اللغة لا تتقوّم إلا من خلال المعاني المتقومة بدورها من خلال الأبنية؛ ذلك أن اللغة في الحقيقة لا تتم إلا من خلال إثارة المعنى وإسناد هذه القيمة إلى الحجاج يوسع من طاقته اللغوية ويعممها في سبيل إحداث ضرباً من التطابق بين اللغة والحجاج إذ كان كل منهما يمثل إثارة للمعنى .

---

(١) اللغة والحجاج، أبوبكر العزاوي ، صـ ٨

(٢) اللغة والحجاج، أبوبكر العزاوي، صـ ١٤

(٣) المنهاج في ترتيب الحجاج، أبو الوليد الباجي، صـ ٩١

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ويعضد هذا الفهم أن الأصوليين المتأخرين قد خصصوا المعنى بالعلة أو الحجة لأنها الدليل على الحكم والوسيلة في ربط حكم الفرع بالحكم الأصلي، فكأن الحجاج هو المعنى، والمعنى لا يتقوّم إلا من خلال اللغة، فيكون الحجاج هو اللغة من خلال دلالتهما معاً على مفهوم المعنى الذى جعلهما يتطابقان .

هذا الفهم نستطيع أن نتبينه أيضاً لدى حازم القرطاجني الذى نصّ على هذا الأمر صراحةً متأثراً في ذلك بالفهم الأصولي للحجاج؛ فهو وإن كان أديباً شاعراً إلا أن نشأته في بيت والده الفقيه الأصولي جعلته متأثراً بالدرس الأصولي في آرائه وهو أهم ما يميز كتابه (منهاج البلغاء وسراج الأدباء)؛ إذ قدم حازم القرطاجني مجموعة من الآراء التي تمثل امتداداً للفهم الأصولي للحجاج.

يقول القرطاجني مثبتاً للغة وظيفة حجاجية: " لما كان كل كلام يحتمل الصدق أوالكذب، إما أن يرد على جهة الاحتجاج والاستدلال أو الإخبار و الاقتصاص"(١).

فجعل كل كلام يتكلمه الإنسان بصفته متحدثاً عن ذاته يحمل شحنات حجاجية لغوية؛ أما ما يخبر به عن غيره فيأتى على سبيل الإخبار والقص .

ولعلنا نلاحظ أن القرطاجني قد ساوى بين كل من الحجاج والاستدلال لأن النظرية العربية في الحجاج – كما سبق أن أشرت – تجعل الاستدلال موصلا للحجاج. فجعل الحجاج هو الاستدلال؛ وجعل كل منهما ممثلاً للوظيفة اللغوية؛ فالاستدلال اللغوي على طريقة العرب هو وسيلة الحجاج

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، ت: الحبيب بن الخوجة، دار الكتاب العربي، تونس،ط١، ٢٠٠٨ م ، صـ ٥٥

والذى يخالف في طريقته الاستدلال المنطقى الضيق في الإرث الأرسطي والنظرية الغربية في الحجاج.

ويعد التعريف السابق للكلام عند حازم القرطاجني تعريفاً استباقياً فاق الفهم اللغوي في العصر الحديث؛ إذ إن اللسانيات الحديثة منذ سوسير ظلت تصدر مفهوم الإخبار بوصفه الوظيفة الأساسية للغة، بعيداً عن الحجاج إلى أن جاء فلاسفة أكسفورد وفتحوا الباب على مصرعيه، لبيان وظيفة أساسية أخرى للغة وهي الوظيفة الإنجازية، والتي ألحقت بها الوظيفة الحجاجية فيما بعد.

والملاحظ أن كل من بيرلمان وتتيكاه قد جعلا الاستدلال البرهانى جزءاً من نظريتهم في الحجاج، والاستدلال هنا هو البرهان الفلسفي الضيق الذى يلتزم بطريقة لغوية واحدة بالاتكاء على الإرث الأرسطى في المنطق البرهاني .

بينما ثار ديكرو في نظريته على المنحى الكلاسيكي برمته إذ اتجه بالحجاج اتجاهاً لغوياً ومن ثمّ فرق ديكرو في نظريته بين الحجاج والاستدلال، إذ جعل كلا منهما متميزا عن الآخر، وهو يقصد بهذا الاستدلال المنطقى الذى يعرفه الغرب نقلا عن أرسطو وتلامذته.

حيث رأي ديكرو أن " الحجاج يكون مفارقاً للاستدلال؛ فهما ينتميان لنظامين مختلفين؛ نظام مايسمى عادة (بالمنطق) و (نظام الخطاب)، فاستدلال (القياس الحملى أو الشرطى...) لايشكل خطاباً بالمعنى الذى يعطيه(ديكرو) لهذا المصطلح .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

... فالاستدلال يتألف من أقوال مستقلة بعضها عن بعض بحيث إن كل قول منها يعبر عن قضية ما... ولهذا فإن تسلسل الأقوال في الاستدلال ليس مؤسساً على الأقوال نفسها، ولكنه مؤسساً على القضايا المتضمنة فيها "(١).

وكان الأصوليون القدماء على وعي بهذا الاختلاف بين المنطق الأرسطي و طريقة الجدل أو الحجاج العربي فعمدوا إلى التفرقة بين طريقة أرسطو في المنطق وطريقة العرب في الحجاج بقولهم:

إن الفرق بين الطريقتين يكمن في أنّ " طريقة المنطق في الحجة على تحديد المعنى واللفظ، وليس كذلك طريقة الجدل لأنه قد يستعمل في العبارة عن الحجة المجاز، ويجرى على عادة أهلها في الاتساع والإيجاز"(٢).

وإذا كان الحجاج في النظرية الغربية عند بيرلمان وتتيكاه قد اجتذب مادة المجاز إلى مفهوم الحجاج؛ حيث اهتمت نظرية البلاغة الحديثة " بدراسة التقنيات البيانية التي تسمح بإذعان المتلقى "(٣). فإن الأصوليين القدماء قد اعتمدوا الحجج المجازية وهي التي تنتمى إلى أدوات المجاز من الاستعارات والتشبيهات المختلفة بوصفها إحدى التقنيات الحجاجية.

ومن تلك الحجج المجازية عند الأصوليين التي تمثل إحدى التقنيات المجازية؛ تشبيه المملوك بالابن كأن يقول أحدهم إلى مملوكه : هذا ابنى، فعلى مذهب الشافعي و أبى حنيفة يكون تشبيه المملوك بالابن مفيداً للعتق.

---

(١) الحجاج والمعنى الحجاجي، أبو بكر العزاوي، ضمن سلسلة ندوات ومناظرات بعنوان الحجاج طبيعته ومجالاته، حمو النقاري وآخرون، جامعة محمد الخامس، الرباط، ط١، ٢٠٠٦، صـ٥٧

(٢) الواضح في أصول الفقه، أبو الوفاء بن عقيل، ج١ صـ ٣٤٩

(٣) الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، عبدالله صولة، دار الفارابي، بيروت، ط١، ٢٠٠٧م، صـ ٣٢

وذلك بالنظر إلى القاعدة الفقهية والأصولية في توصيف المجاز عند كل من الإمامين الشافعي وأبى حنيفة والتي تقول إن " المجاز خلف عن الحقيقة في التكلم لا في الحكم بل هو في الحكم أصل"(١)؛ فالمجاز أصل في إثبات الحكم كالحقيقة، ومن ثم فإن الحجة المجازية بتشبيه المملوك بالابن تفيد العتق .

بينما يرى الإمام أبو يوسف أن " المجاز خلف عن الحقيقة في التكلم وليس أصلاً في الحكم" (٢)، على أساس أن المجاز عند أبى يوسف وتابعه في هذا البزدوي عالم الأصول يحتاج إلى قرينة للدلالة على الأصل، والقرينة في هذا المثال هي إمكانية تصور الأصل، ولا يمكن تصور الأصل فيمن قال لمملوكه (أنت ابنى) وكان مملوكه أكبر منه سناً .

على أساس استحالة أن يكون المملوك ابن الخمسين من ماء المالك ابن العشرين . ومن ثم فإن استحالة تصور الأصل قرينة تمنع إفادة الحجة المجازية للعتق عند أبى يوسف بينما لو قال المالك للمملوك (هذا ابنى) وكان المالك أكبر سناً من المملوك فإن الحجة المجازية تفيد العتق، وذلك بقرينة تصور الأصل أو عدم استحالة تصور الأصل .

ذلك أنه من الممكن واقعاً أن يكون المملوك من ماء المالك طالما المالك أكبر من المملوك سناً ومن ثم تفيد الحجة المجازية الحكم بالعتق عند أبى يوسف لقرينة تصور الأصل بمعنى إمكانية حدوث التشبيه في الواقع؛ ومن هنا كان المجاز حكما يخلف الحقيقة بقرينة تصور الأصل عند أبى يوسف، بينما يكون المجاز خلفاً للحقيقة بدون قرينة عند الشافعي و أبى حنيفة فتفيد الحجة المجازية الحكم بالعتق عندهما .

---

(١) كشف الأسرار شرح أصول البزدوي، عبد العزيز بن أحمد علاء الدين البخاري الحنفي، ت: عبدالله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م ، ج١ صـ٧٧

(٢) كشف الأسرار، عبدالعزيز بن أحمد البخاري الحنفي، ج١ صـ ٧٦ بتصرف.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المبنى الحجاجي: (الأدوات اللغوية الحجاجية)

النص القاطع / النص المحتمل

النص الصريح / النص الظاهر

لعل أهم ما قدمه علماء أصول الفقه فيما يخص النظرية الحجاجية العربية هو كونهم قد ربطوا الحجاج بالمبانى اللغوية كما ربطوه بالمعاني الحجاجية، والمبانى الحجاجية تشير إلى الأساليب اللغوية المختلفة التي تسهم في أداء العملية الحجاجية إلى جانب حديثهم عن تحول الوظيفة النحوية لأدوات اللغة إلى وظيفة حجاجية، بحيث تتحول حروف المعاني إلى أدوات حجاجية، إلى جانب تحول الوظيفة النحوية لبعض الأفعال والمركبات الاسمية لتصبح وظيفة حجاجية؛ فالأمر لا يختص بأدوات اللغة أو حروف المعاني فقط.

ومن هنا فإن الأدوات الحجاجية هي تلك الأدوات اللغوية أو حروف المعاني التي تحولت بفضل السياق والمقام إلى أدوات حجاجية ينتظمها معنى التعليل الحجاجي للربط بين الأصل والفرع في الحكم، وذلك عند علماء أصول الفقه.

وعلى هذا نستطيع أن نقول إن النظرية العربية في الحجاج كانت ذات نظرة استباقية حين جعلت للوظيفة اللغوية وظيفة حجاجية من خلال النظر إلى الأبنية اللغوية بوصفها أبنية حجاجية تبعاً لظروف السياق والمقام .

إن القول بأن النظرية العربية قد جعلت من الوظيفة اللغوية وظيفة حجاجية يتقاطع في العصر الحديث مع ماقدمه العالم اللغوي الفرنسي ديكرو في ثمانينيات القرن .

حيث جاء في نظريته (الحجاج في اللغة) : " إننا نتكلم عادةً بقصد التأثير"[١]، "على أساس أن اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية "[٢].

وتحديداً فإن نظرية (الحجاج في اللغة) قد اعتمدت في الأساس على المبدأ القائل : " إن التسلسلات الحجاجية الممكنة في خطاب ما، ترتبط بالبنية اللغوية للأقوال وليس فقط بالأخبار التي تشتمل عليها "[٣]، حيث اهتمت هذه النظرية " بالوسائل اللغوية وبإمكانات اللغة الطبيعية التي يتوافر عليها المتكلم وذلك بهدف توجيه خطابه وجهةً ما تمكنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية "[٤].

وفي هذا فإن النظرية العربية الحجاجية تحديداً في الفهم الأصولي قد اتفقت مع ما قدمه علماء الغرب اليوم من توسيع مفهوم الحجاج بجعل كل أدوات اللغة وعناصرها تحمل بعداً حجاجياً كما في نظرية الحجاج في اللغة عند ديكرو وانسكومبر.

إلا أن النظرية العربية قد فارقت الفكر الغربي حين ربطت الاستدلال الحجاجي بكل من المعنى الحجاجي والمبنى الحجاجي، على حين قصرت النظرية الغربية الاستدلال على الاستدلال المنطقي في ثوبه الضيق المتدثر بالمنطق الأرسطي، ومن هنا فقد قدمت النظرية العربية الأصولية مفهوماً موسعاً للاستدلال يفارق الفهم الغربي.

---

(١) اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، صـ ٨

(٢) نفسه ، صـ ١٤

(٣) نفسه ، صـ٧

(٤) نفسه ، صـ ١٤

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وعلى هذا كان الفهم الأصولي القديم أسبق من الفهم الغربي الحديث في ربط الحجاج بالمبانى اللغوية والأساليب اللغوية المختلفة وهو ما دعا إليه العالم اللغوي الفرنسي ديكرو في العصر الحديث، وكما قصدوا بالمعنى الحجاجي الاستدلال اللغوي الذى يتم من خلاله الحجاج عبر إثارة المعنى فإنهم قصدوا بالمبنى الحجاجي الأبنية اللغوية التي يتمثل من خلالها الحجاج وهي تشير إلى الأساليب اللغوية .

وفيما يخص أداء العملية الحجاجية من خلال الأساليب اللغوية المختلفة، يقول العالم اللغوي الأصولي أبو الوفاء علي بن عقيل :

" وكل حجة فإن معناها قد يكمن في أن تختلف الصورة الدالة عليها؛ فمرة تكون في صورة الخبر وهو الذى عليه المعتمد ومرة تكون في صورة الاستخبار ومرة تكون في صورة الأمر ومرة تكون في صورة النهي وكل ذلك يحصل به في النفس معنى يشهد بمعنى آخر "(١).

ولعلنا نلاحظ أن أبا الوفاء بن عقيل قد تحدث عن الأساليب اللغوية المختلفة التي يتم من خلالها عملية الحجاج، فقد قصد بالصورة الدالة على الحجة الأسلوب اللغوي الذى تتقوّم من خلاله تلك الحجة، وقد جعل الأسلوب الخبري هو الأساس في أساليب الاحتجاج وذلك بقوله (وهو الذى عليه المعتمد).

كما أشار إلى الاحتجاج بالأسلوب الإنشائي الطلبي من خلال حديثه عن الحجة التي تأتى في صورة الاستخبار والتي يقصد بها الاستخبار من خلال أدوات الاستفهام المختلفة من قبيل (ما – من – كيف – هل)، إذ إن كل الأساليب المصدرة بأدوات الاستفهام تعد أساليب استخبارية، كما أشار

(١) الواضح في أصول الفقه، أبو الوفاء بن عقيل، ج١ صـ٣٣٨

أيضاً إلى الأسلوب الإنشائي الطلبي عبر أسلوب النهي (لا تفعل) أو أسماء الأفعال مما يوسع من دائرة الحجاج بجعله مشتملا على الجملة الاسمية والفعلية .

وكان الأصوليون القدماء على وعي بهذا الاختلاف بين المنطق الأرسطي و طريقة الجدل أو الحجاج العربي فعمدوا إلى التفرقة بين طريقة أرسطو في المنطق وطريقة العرب في الحجاج .

يقول أبو الوفاء بن عقيل؛ العالم الأصولي :

إن " طريقة الجدل قد يجرى فيها التحديد ويجرى فيها التغيير فهي أوسع من طريقة المنطق من هذا الوجه، وطريقة المنطق أضيق، إذ كان لا يسلك إليها من وجه واحد، والمثل في ذلك كمن قصد بلدا فوجد طرقاً متشبعة توصل إليه "[١].

إذن لقد حاول العلماء العرب استنفاذ وسائل اللغة المختلفة في تقديم الحجاج فأصبحت الأساليب اللغوية دالة على الحجاج، فكما تمثل الحجاج في المعنى فإنه قد تمثل أيضا في المبنى، فإذا كان علم المنطق يجتذب بنية لغوية واحدة وضيقة فإن علم الحجاج يجتذب العديد من البنى اللغوية .

والملاحظ أن علماء أصول الفقه قد نصوا صراحةً على تحول الوظيفة النحوية إلى وظيفة حجاجية ولكن من خلال المعجم الأصولي القديم، وذلك حين تحدثوا عن العلة والتعليل، إذ قصدوا بالتعليل ذلك التعليل الحجاجي وهو الخاص بالنسق اللغوي للحجاج.

(١) الواضح في أصول الفقه، أبو الوفاء بن عقيل، ج١ صـ ٣٣٩

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ويشير التعليل الحجاجي إلى الاحتجاج من خلال أدوات اللغة وعناصرها، لا من خلال معنى النص، أي أن حديث القدماء من علماء أصول الفقه عن التعليل يشير إلى التعليل الحجاجي من خلال تحول الوظيفة النحوية إلى وظيفة حجاجية مخالفين بذلك علماء النحو .

فالتعليل ما هو إلا حجاج لغوي يعبر عن الطريقة اللغوية التي يتم من خلالها ضبط النسق الحجاجي في النص .

واختلف علماء أصول الفقه فيما بينهم حول أشكال النص الحجاجي، وهو ما سموه " انقسام النص على العلة "[١] والعلة عند الأصوليين هي " الموجبة لحكمها أو للحكم أو للمعلول "[٢] أي الوصف الموجب للحكم أو المعلول وهو وصف جامع بين الأصل والفرع؛ ومنهم من قسم النص تبعا للوصف الخاص بالعلة إلى " قاطع ومحتمل"[٣]، على أساس كونه معللاً بظهور العلة فيه، فجعلوا النص من حيث الحجاج نصاً قاطعاً ونصاً محتملاً.

والنص القاطع هو النص المعلل بعلة قطعية[٤]، أي يكون الحجاج فيه من خلال العلة القطعية وهي العلة الصريحة، ويأتى الحجاج فيه من خلال المركبات الاسمية الدالة على التعليل الحجاجي دلالة صريحة، مثل: المركبات الاسمية من اللام وما بعدها كما في قولهم" لعلة كذا وكذا أو لسبب كذا أو لمؤثر كذا أو لموجب كذا أو لأجل كذا، لجراء كذا، لمقتضى كذا "[٥].

---

(١) إرشاد الفحول في تحقيق الحق في علم الأصول، محمد بن علي الشوكاني، ت : سامى بن العربي الاثري، القاهرة، دار الفضيلة،ط١ ١٤١٢هـ - ٢٠٠٠م ، ج٢ صـ١٤٨

(٢) الواضح في أصول الفقه، أبو الوفاء بن عقيل، ج١ صـ٣٥٠

(٣) إرشاد الفحول، الشوكاني، ج٢ صـ١٤٨

(٤) نفسه، ج٢ صـ ١٤٥ بتصرف.

(٥) إرشاد الفحول ، الشوكاني ، ج٢ صـ ١٤٥

ومثاله كما في قول الإمام علي بن أبى طالب :

" قومى إذا اشتبك القنا جعلوا الصدور لها مسالك

اللابســـــون دروعهم فوق الصدور لأجل ذلك " [١]

حيث جعل علة ارتدائهم للدروع في القتال، أنهم قوم شجعان يقدمون على الأعداء بصدورهم غير خائفين من الاشتباك بالرماح، وقد قدم الإمـــام علي هذه العلة من خلال المركب الاسمي (لأجل ذلك) .

والنص المحتمل هو النص المعلل بعلة محتملة وهي العلة الظنيـــة أو غير الصريحة، فيكون الحجاج فيه من خلال العلة المحتملة، ويكون الحجاج من خلال الأدوات اللغوية التي تحولت وظيفتها النحوية إلى وظيفة حجاجية، وخصصوا من الأدوات اللغوية، ثلاثة من حروف المعاني، وهي " اللام، وإنّ الناسخة، والباء "[٢].

وقالوا إن " اللام كقولنا ثبت لكذا، كقوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْـتُ الْجِـنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات / ٥٦) "[٣]، فاتصلت اللام بالحجة أو السبب الخاص بعلة خلق الخلق .

ومثلوا لـــ (إنّ) الناسخة، بقول النبي صلى الله عليه وسلم فـــي فـــي صحيح الترمذى في كتاب الطهارة عن عدم نجاسة الهـــرة " إنهـــا ليســـت بنجس، إنما هي من الطوافين عليكم "[٤]، فجعل الحجة في عدم نجاسة الهرة

---

(١) ديوان الإمام علي، علي بن أبى طالـــب، ت: نعـــيم زرزور، دار الكتـــب العلميـــة، بيـــروت، ط١، ١٤٠٥هـــ - ١٩٨٥م،صـــ١٤١،الأبيات من مجزوء الكامل.

(٢) إرشاد الفحول، الشوكاني، ج٢صـــ١٤٥ بتصرف.

(٣) إرشاد الفحول ، الشوكاني ، ج٢ صـــ ١٤٥

(٤) الجامع الصحيح (سنن الترمذي)، الإمام محمد بن سورة الترمذي، ت: أحمد شاكر، ومحمـــد فـــؤاد عبدالباقى وإبراهيم عطوة، القاهرة، مطبعة البابي الحلبي، ط٢، ١٣٩٥ هـــــ - ١٩٧٥ م، كتـــاب الطهارة، حديث رقم ٩٢

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

كثرة ورودها على المنازل مما يجعل في نجاستها حرجاً على أهل المنـــزل، فرفع الله عزوجل الحرج عن المسلمين بجعلها غير نجسة، وكانت الحجة في ذلك، كثرة مخالطتها لأهل المنزل فيشق على الناس غسل كل مـــا لامســـته الهرة، فخفف الله تعالى عنهم.

وأما الباء فقد مثلوا لهـــا بقولـــه تعـــالى ﴿ذَلِـــكَ بِـــأَنَّهُمْ شَـــاقُّوا اللهَ وَرَسُولَهُ﴾[١]، فجعل شقاقهم لله تعالى والنبي محمد صلى الله عليـــه وســـلم، حجة على نزول العذاب بهم .

ومن علماء الأصول من قسم النص من الناحية الحجاجية إلى نـــص صريح وظاهر؛ فجعلوا النص الصريح هو ذلك النص الذى يكون " المنطوق بالتعليل فيه على حسب دلالة اللفظ الظاهر على المعنى " [٢]، ويكون هذا من خلال المركبات الاسمية الدالة على الحجاج، وجعلوا لهذه المركبات درجـــات في الاحتجاج "أعلاها أن يقول لعلة كذا أو لسبب كذا "[٣].

والسبب في علو درجة الاحتجاج هنا هو اتصال اللام بالحجة مباشرة ومثلوا له بالمثال السابق ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[٤] ، وذلك لاتصال الحجة باللام مباشرة؛ فالعبادة هي الحجة على خلق الجن والإنس.

ثم جعلوا الدرجة التالية لقول القائل " لأجل كذا أو من أجل كـــذا"[٥]، وقد علل علماء أصول الفقه ارتفاع درجة الأول عن الثانى، على أساس أن الاحتجاج في الأول يأتى مباشرة بعد اللام أما الاحتجاج في الثـــانى فيحتـــاج إلى زيادة الواسطة الكلامية .

---

(١) القرآن الكريم، سورة الحشر/ ٤
(٢) إرشاد الفحول، الشوكاني، ج٢ صـــ ١٤٨
(٣) نفسه، ج٢ صـــ ١٤٨
(٤) القرآن الكريم، سورة الذاريات / ٥٦
(٥) إرشاد الفحول ، الشوكاني، ج٢ صـــ ١٤٨

فعلى حين اتصل النسق الحجاجي في الدرجة الأولى من خلال الـــلام فقط، فإنه في الدرجة الثانية قد اتصل من خلال زيادة الواسطة الكلامية وهي (أجل) المتصلة باللام، فزيادة المبنى أدت إلى اختلاف درجة الاحتجاج .

أما النص الحجاجي الظاهر فهو النص الذى يتم النسق الحجاجي فيـــه من خلال أدوات اللغة وحروف المعاني، وقد جعلوا الاحتجاج" باللام في أعلى مراتب الحجاج"(١) ، مثلهم مثل الفريق الأول، " يليه (أنْ) المفتوحة المخففة، ثم (إنّ) المكسورة الناسخة"(٢).

وعلماء أصول الفقه في هذا قد خالفوا النحاة مخالفةً صريحة . و" قد نقل الأنباري إجماع النحاة على أن (أنّ) الناســخة لا تــرد للتعليــل وإنمــا للتأكيد"(٣) ، "وقد عاب على الأصوليين هذا الفهم انتصارا للنحاة "(٤) ثم جعل الأصوليون ترتيب الباء في الحجاج بعد اللام و (أنْ) المفتوحة المخففة و (أنّ) المكسورة الناسخة، واشترطوا لذلك صلاحية الباء لأن تحل محل الـــلام فقالوا:" وضابطه أن يصلح غالبا في موضعها اللام "(٥).

ثم جعلوا (الفاء) في الدرجة التالية لـــ (الباء)، واشترطوا لها الشرط الآتى وهو " إذا علل بها الحكم على الوصف"(٦)، وجعلوها قرينة لفظية على " الاحتجاج بالإيماء والتنبيه "(٧).

---

(١) إرشاد الفحول، الشوكاني، ج٢صـــ ١٤٨ بتصرف
(٢) نفسه ،ج٢صـــ ١٤٨ بتصرف
(٣) نفسه، ج٢صـــ ١٤٨ بتصرف
(٤) نفسه، ج٢ صـــ ١٤٨
(٥) نفسه، ج٢ صـــ١٤٨
(٦) نفسه،ج٢ صـــ ١٤٩
(٧) نفسه، ج٢ صـــ ١٥٠ بتصرف

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وذلك على طريقتين تعتمد على القبلية والبعدية؛ الأولى : أن تأتى الفاء قبل السبب الحجاجي، ومثلوا لذلك بحديث النبي صلى الله عليه وسلم عن الرجل الذى مات حاجاً ملبياً " ولا تخمروا رأسه فإن الله تعالى يبعثه يوم القيامة ملبياً "(١)؛ فجعل الحجة في عدم تغطية رأس الحاج هو أنه يبعث يوم القيامة على الحالة التي مات عليها بنفس هيئته ملبياً، وفي هذا حجة له بارتفاع الدرجة لمخالفته في التحنيط لمن مات على سريره .

والطريقة الثانية هي : أن تأتى الفاء بعد السبب الحجاجي متصلة بالحكم، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللهِ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(٢)، فجعل السرقة حجة على التنكيل بهم من خلال قطع اليد التي امتدت للسرقة .

ثم يلى (الفاء) في الدرجة، الحرف الناسخ (لعلّ) المشبه بالفعل من أخوات (إنّ) الناسخة، وقد رأي نحاة الكوفة اتفاقاً مع علماء أصول الفقه أنّ (لعلّ) " في كلام الله عزوجل للتعليل المحض مجردة عن معنى الترجي لاستحالته عليه سبحانه وتعالى "(٣).

ثم بعد الرابط (لعلّ)، يأتى الظرف (إذا) وهو للمستقبل من الزمان ويحمل معنى الشرط، ثم يليه (حتى) التعليلية، " وقد عد صاحب التنقيح* من

---

(١) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، ت. محب الدين الخطيب، محمد فؤاد عبد الباقى، المطبعة السلفية، القاهرة، ط١، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م كتاب الجنائز، باب كيف يكفن المحرم، حديث رقم ١٢٠٨

(٢) القرآن الكريم، المائدة / ٣٨

(٣)إرشاد الفحول ، الشوكاني، ج٢ صـ ١٤٩

* صاحب التنقيح هو العلامة شهاب الدين الصنهاجي القرافي

*إمام الحرمين هو الفقيه الشافعي أبو المعالى الجويني

التعليل (لا جرم) ... وعد أيضا جميع أدوات الشرط والجزاء، وعد إمام الحرمين* منها الواو"[١].

الفعل الحجاجي:

لعل أهم ما ينبغى الالتفات إليه ان القدماء من الأصوليين قد سطروا نظريتهم في الحجاج من خلال مجموعة المفاهيم اللغوية الأصولية ومن هذه المفاهيم الفعل الحجاجى؛ والفعل الحجاجي هو ذلك الفعل الذى يتم من خلاله إزجاء العملية الحجاجية، وهذه العملية الحجاجية تتم من خلال الفعل الحجاجي على نسقين:

الأول : الفعل الحجاجي المباشر وينقسم إلى:

أ. فعل حجاجى مباشر يعتمد في مادته الأصلية على المعجم الحجاجي، ومما نص عليه الأصوليون في هذا فعل التشبيه والتعليل " كأن تقول : شبهته بكذا، عللت كذا " ويلحق به كذلك كل الأفعال الدالة على الحجاج مباشرة مثل الفعل حاجّ وجادل وهي شهيرة في القرآن الكريم كما في قوله تعالى ﴿ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ ﴾[٢]، أي يتحاجون في سبب أو علة دخولهم النار؛ فالفعل (يتحاجون) فعل حجاجي مباشر ترجع حجاجيته إلى المادة اللغوية التي تجتذب الأصل اللغوى للفعل حاج من مادة (حجج).

ب. فعل حجاجي مباشر يعتمد معنى الحجاج فيه على سياق النص، كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ خِلاَلَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَّعَ اللهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[٣]، الفعل (جعل) في سياق

(١) إرشاد الفحول، الشوكاني، ج٢ صـ ١٤٩
(٢) القرآن الكريم، غافر/٤٧
(٣) القرآن الكريم، النمل /٦١

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

السورة الكريمة يشير إلى كونه فعلاً حجاجياً إذ أقيمت به الحجة على أنه لا إله مع الله تعالى، كما أقيمت من خلاله الحجة على جهالة هؤلاء القوم المنكرين للوحدانية، لأن الفعل (جعل) يشير إلى القدرة الإلهية في خلق الأنهار والبحار.

الثانى : الفعل الحجاجي غير المباشر

وهو الفعل المتصل بأداة لغوية؛ هذه الأداة قد تكون حرف من حروف المعاني كاللام وقد تكون أداة استفهام، ومثال الفعل المتصل باللام قوله تعالى كما سبق أن أشرت ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[١]، فالفعل (يعبدون) فعل حجاجي متصل بلام التعليل ؛ فالعبادة حجة على خلق الإنس والجن.

ومن أمثلة الفعل المتصل بأداة الاستفهام الذى ترجع حجاجيته إلى السياق قوله تعالى ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾[٢]، "فهذه حجة احتج الله عزوجل بها على أهل الكتاب"[٣]، في دخولهم النار لتقسيمهم الكتاب من ناحية العمل به إلى جزء معمول به وجزء متروك، والجزءان حكمهما واحد "لأن جزئيه مثلان وحكم المثلين واحد "[٤]، فالفعل تؤمنون فعل حجاجي احتج الله تعالى به على دخولهم النار.

---

(١) القرآن الكريم، الذاريات / ٥٦

(٢) القرآن الكريم، البقرة/٨٤

(٣) الجذل في علم الجدل، نجم الدين الطوفي، ت: فولفهارت هاينريشس، دار النشر فرانزشتانير بفيسبادن، سلسلة النشرات الاسلامية، طبع مؤسسة الابحاث العلمية الألمانية، الأردن، عمان، مطبعة كتابكم، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م صـ٩٧

(٤) نفسه، صـ٩٧

ومن الفعل الحجاجي غير المباشر المتصل بالاستفهام قول النبي للسيدة عائشة حين ألمت بها الغيرة " أقد حضر شيطانك ؟ "[١] أي قد حضر شيطانك، فكان هذا الفعل الحجاجي في ذاته حجة كون الاستفهام هنا غير حقيقي؛ فالنبي لا يستفهم من السيدة عائشة بدليل ردها على هذا الاستفهام باستفهام آخر حقيقي وهو قول السيدة عائشة " يارسول الله أو معى شيطان؟ قال : نعم"[٢]، وردّ النبي صلى الله عليه وسلم عليها بقوله (نعم) ما يدل على أن الاستفهام من خلال الفعل (حضر) كان استفهاماً غير حقيقي إذ إنه استفهام حجاجي يتضمن إثبات حضور الشيطان فالمعنى (قد حضر شيطانك) فكان حضور الشيطان حجة في إلمام الغيرة بها .

وتأسيساً على ماسبق فإن أهم ما ينبغى الالتفات إليه أن العلماء العرب القدماء من الأصوليين قد جعلوا للفعل وظيفة حجاجية وذلك قبل تنبه فلاسفة اللغة لذلك في العصر الحديث؛ ذلك أن فلاسفة اللغة المحدثين منذ سوسير قد ظلوا ينظرون إلى الوظيفة الإخبارية للغة بوصفها الوظيفة الأساسية لها، إلى أن جاء فلاسفة أكسفورد من أمثال : أوستن وسورل، فأظهروا للغة وظيفة أخرى وهي الوظيفة الإنجازية والتي ألحقت بها الوظيفة الحجاجية فيما بعد من خلال الفعل الحجاجي.

---

(١) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري، ت: محمد الفاريابي، دار طيبة، القاهرة، ط١، ١٤٢٧هـ -٢٠٠٦م، باب: تخريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس، حديث رقم ٥١٦٤

(٢) صحيح مسلم، الإمام مسلم بن الحجاج القشيري، باب: تخريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس، حديث رقم ٥١٦٤

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

حيث رأي كل من أوستن وسورل أن " النطق بالجملة هو إنجاز لفعل أو إنشاء لجزء منه"(١)، وقد وضعوا لذلك العديد من الأمثلة منها قولهم على سبيل المثال : " أقبل أن تكون هذه المرأة زوجتى الشرعية ... أسمى هذه الباخرة الملكة إليزابث "(٢)، ومن هنا فقد قال سورل : إنه من الواضح أن " النطق بالجملة هو إنجازها و إنشاؤها ... ثم إن ماذكرته هنا من العبارات المتلفظ بها [الأمثلة] لا يدل شئ منها على التصديق أو التكذيب "(٣).

وقد اشترط سورل أن تتضافر عوامل المقام مع القول لصرفه إلى الناحية الإنجازية؛ ففي المثال الأول اشترط أن يقال هذا القول أثناء مراسم الاحتفال بالزواج، وفي المثال الثانى اشترط أن ينطق الفعل عند إقامة مراسم التدشين وذلك " حينما تنكسر القارورة على هيكل الباخرة "(٤).

ذلك أن " ظروف النطق بالعبارة هو أهم معين على معرفة الغرض منها ... وبالمثل فإن عبارة (سأموت يوماً ما) إذا صدرت عن مخاطب سليم البنية فإن السياق يعمل على أن يجعل لها معنىً مختلف "(٥).

ومن هنا فقد توصل سورل إلى ما سماه " إنجاز لقوة فعل الكلام أي إنجاز فعل في حال قول شئ ما مع مراعاة مقتضى المقام على خلاف إنجاز فعل ما بمجرد القول وإيراده عارياً عن القوانين الدالة؛ وقد سمى الفعل المنجز : قوة فعل الكلام "(٦).

---

(١) نظرية أفعال الكلام العامة، جون لانكشو أوستن، ترجمة: عبدالقادر قنيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط٢٠٠٨،٢م، صـ١٦.
(٢) نفسه، صـ ١٦
(٣) نفسه، صـ١٧
(٤) نفسه، صـ ١٦
(٥) نفسه، صـ٩٣
(٦) نفسه، صـ ١٢٠

والملاحظ أن أوستن قد أضاف إلى الأفعال الإنجازية الخطابية الاستفهام وقال عن الاستفهام إنه من "الأفعال التي تتأسس بين المتحاورين في خطاب ما وهذا الفعل لابد له من قوة تسمى القوة الخطابية التي يعطيها المتكلم لملفوظه وقوة الخطاب هي كل ما يتعلق بإنجازه ويكسبه نوعية خاصة كالأمر والوعد والاستفهام "(١).

وأشير في هذا السياق إلى أن الرضي في شرحه على الكافية قد تحدث عن " الإنشاء الإيقاعي" (٢) ويقصد به الإنشاء الذى بمجرد التلفظ به ينشأ الفعل أي أن الإنشاء الإيقاعي هو الإنشاء الموجد للفعل ومثل لذلك بأمثلة فقال : " ليشمل الإسناد الذى في الكلام الإنشائي مثل : بعت و أنت حر"(٣) وميز بينه وبين الإنشاء الطلبي وهو الإنشاء المختص بالطلب وجوابه متعلق بالطلب، بينما جواب الإنشاء الإيقاعي متعلق بإيقاع الفعل نفسه أي رد فعل المتلقى تجاه وقوع الطلب .

وجعل منه الاستفهام الطلبي والاستفهام الإنشائي الإيقاعي والأول يتعلق بطلب الفهم أما الثانى فيتعلق بإيقاع الفعل، وهذا الاستفهام الإيقاعي هو ما سماه الأصوليون بالاستفهام الحجاجي الذى لا يهدف إلى طلب الفهم وإنما يهدف إلى الحجاج .

وأشير إلى أن نظرية الحجاج في اللغة قد نشأت " من صلب نظرية الأفعال اللغوية التي وضعها أوستين وسيرل وقد قام ديكرو بتطوير آراء

---

(١) نظرية أفعال الكلام العامة ، جون لانكشو أوستن ، صـ ١٢١

(٢) شرح الكافية، الشريف محمد بن الحسن الاستراباذي الرضي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٦٦م، ج١ صـ٣٢٠

(٣) نفسه، ج١ صـ٣٢٠

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

أوستن بالخصوص، واقترح في هذا الإطار إضافة فعلين لغويين هما فعل الاقتضاء وفعل الحجاج "[١].

وقد أعاد ديكرو تعريف التلفظ والإنجاز في إطار الفعل الحجاجي بقوله إنه: " فعل موجه إلى إحداث تحويلات ذات طبيعة قانونية أي مجموعة الحقوق والواجبات؛ ففعل الحجاج يفرض على المخاطب نمطا معينا من النتائج، باعتباره الاتجاه الوحيد الذى يمكن أن يسير عليه الحوار، والقيمة الحجاجية لقول ماهي نوع من الإلزام يتعلق بالطريقة التي ينبغى أن يسلكها الخطاب "[٢]

وسبق أن أشرت إلى أن القدماء من علماء أصول الفقه قد عنوا بالتعليل، الحجاج في الإطار اللغوي، ومن هنا فإنهم قد رأوا أن الحجاج يكون " مستفادا من فعل من الأفعال الدالة على ذلك كقوله : عللت بكذا و شبهت كذا بكذا ونحو ذلك "[٣]، ومثلهما الفعل (جادل) والفعل (حاج)، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم " تحاجت الجنة والنار، فقالت النار : أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين " [٤]؛ فالفعل (تحاجت) فعل حجاجي يؤذن ببداية العملية الحجاجية .

ويمكن القول إن الاستفهام الحجاجي عند القدماء يمثل فعلاً حجاجياً، و يستطيع الناظر أن يتبين مدى التشابه بينه وبين ما قاله ديكرو عن الفعل الحجاجي في هذا الشأن .

---

(١) اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، صـ١٦

(٢) نفسه، ص١٦

(٣) إرشاد الفحول ، الشوكاني، ج٢ صـ ١٤٩

(٤) صحيح مسلم، الإمام مسلم بن الحجاج، باب : النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، حديث رقم ٥٢١٢

على اعتبار أن الأفعال مثل (شبه) و(علّل) و (جادل) و (حاج) هي أفعال صريحة في الحجاج أما الاستفهام الحجاجي فيمثل فعلاً حجاجياً غير صريح وغير مباشر، إذا جاء من خلال أدوات الاستفهام أما إذا جاء من خلال فعل الأمر(أخبرني) أو (قل لي) أو (دلني) فإنه يكون قد دل على الفعل بطريق مباشر أو فلنقل إن الاستفهام هنا يكون فعلا صريحا في الحجاج.

ذلك أن الاستفهام يصلح للانضواء تحت لواء الفعل الحجاجي خاصة مع ما أشرت إليه من اختلاف الأساليب الدالة على الحجاج، فكل سؤال حجاجي مباشر يصلح للتعبير عنه بواسطة الفعل الحجاجي .

حيث جاء " في السؤال المختص بالجدال وخروج الجواب بحسبه فإن قال السائل للمسؤول: ما مذهبك في حدث العالم... فهذا سؤال من جهة الصيغة والمعنى ... فإن قال :أخبرني عن مذهبك في حدث العالم ... فهذا وإن كان معناه معنى السؤال من حيث كان استخبارا لكن لفظه لفظ الاستدعاء والأمر"(١).

فالاستفهام الحجاجي عند القدماء يعبر عنه بلفظ الفعل؛ هذا الفعل يصلح لأن يكون فعلا حجاجيا وهو في هذا النص فعل أمر واستدعاء جاء في معنى السؤال .

ولعل أهم ما قدمه علماء الأصول في هذا الشأن هو جعلهم الاستفهام الحجاجي من قبيل الاستفهام المجازي، حيث رأوا أن الاستفهام قد لا يكون استفهاما حقيقيا وذلك عندما لا يكون الهدف من الاستفهام أو استخدام

(١) الواضح في أصول الفقه، أبو الوفاء بن عقيل، ج١ صـ ٣٠٠

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

السؤال هو طلب الفهم على وجه الحقيقة، ومن هنا فقد ربطوا الاستفهام الحجاجي بالمجاز.

ومن ثم جعلوا السبب في الاستفهام الحجاجي أو الاستفهام المجازى عموما هو " اختلال شرط الوضع "[١] بالنسبة لأصل الاستفهام وهو طلب الفهم، بحيث يكون السبب في السؤال الحجاجي هو إبطال علل وحجج الطرف الآخر في المحاجة، على ماسنرى.

ومنشأ الإشكالية هنا هو استحالة وقوع طلب الفهم في فعل الاستفهام أو طلب الترجي والتمني في أفعال التمني والترجي من الله عزوجل لأن " الجهل في حقه محال "[٢] وكذلك التمني والترجي .

ومن هنا فقد تكرر المثال القرآني في هذا الشأن في العديد من كتب الجدل والحجاج القديمة، وهو قوله تعالى ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾[٣]، والذى مثل إحدى الإشكاليات الرئيسية التي كانت سبباً في ظهور الاستفهام الحجاجي[٤].

وعلى هذا فقد فرق علماء أصول الفقه بين دواعى إنشاء المعاني وفعل الإنشاء نفسه، فجعلوا جميع الأفعال التي يستحيل عقلاً أن تقع من المولى عزوجل أفعالا إنشائية غير حقيقية وتهدف إلى معنى مجازي منه الحجاج .

---

(١) بداية الوصول في شرح كفاية الأصول، الشيخ محمد طاهر آل راضي، ت. محمد عبدالحكيم ،العراق، مطبعة ستارة، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ج١ صـ ٢٥٥

(٢) نفسه، ج١ صـ ٢٥٥

(٣) القرآن الكريم، سورة طه/ آية ١٧

(٤) ينظر، الجذل في علم الجدل، نجم الدين الطوفي، صـ ٣٧

مثال ذلك أن " صيغة الاستفهام المستعملة في الذكر الحكيم قد استعملت في إنشاء الاستفهام "[١]، مع غير طلب للفهم في الواقع، ومن هنا قالوا " وأما طلب الفهم واقعا فهو داعٍ لإنشاء الاستفهام "[٢]، ففرقوا بين المعاني الإيقاعية الإنشائية للصيغة والمعاني الحقيقية .

فالمعاني الحقيقية هي التي تتصل بأصل الصيغة أما المعاني الإيقاعية فهي التي تتصل بالمعاني الزائدة أو المجازية مثل المعاني الحجاجية . ومن هنا أيضا قسموا الإرادة اللغوية إلى "إرادة استعمالية وإرادة جدية "[٣].

فالإرادة الاستعمالية هي الإرادة التي تصبغ الصيغة بصبغة مجازية أو حجاجية مخالفة لمعنى الصيغة الأصلي، بمعنى "استعمال الصيغة في غير داعى الجد من الاستعمال المجازي "[٤] أما الإرادة الجدية فهي الإرادة الحقيقية الأصلية للصيغة، ومن هنا فإن القدماء – بعيدا عن الحجاج – قد حازوا قصب السبق في التبيين عن المعنى التداولى، وهو المعنى الخاضع لنسق التواصل بين (المرسل) و(المرسل إليه/المتلقى / المستقبل) .

ولعل أهم أوجه التشابه بين الفعل الحجاجي لدى ديكرو والفعل الحجاجي في نظرية الحجاج العربية لدى علماء أصول الفقه، ماجاء عند العالم الأصولي أبوالوفاء بن عقيل، الذى يقول:

"كل سؤال ابتدأته فاتصل بما يبطل علل المجيب في إفساده واحتجاجه في دفعه إياه عن نفسه وبما يبين عن حقيقته ووجوبه فهو ماض على سنن

---

(١) بداية الوصول في شرح كفاية الأصول، الشيخ محمد طاهر آل راضي، ج١ صـ٣٥٦
(٢) نفسه، ج١ صـ ٣٥٦
(٣)بداية الوصول في شرح كفاية الأصول، الشيخ محمد طاهر آل راضي، ج١ صـ ٣٥٦
(٤) نفسه، ج١ صـ ٣٥٥

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

لأن المتصل به مسهل طريقه مقرب من نتيجته التي فيه. وكل سؤال ابتدأته ثم أتبعته بما يخرج عما وصفنا فهو منقطع خارج عن سننه"[١]؛ فقول ديكرو " إن فعل الحجاج يفرض على المخاطب نمطا معينا من النتائج "[٢]، هو نفس المعنى الذى قال به علماء أصول الفقه من أن الطريقة الصحيحة في فعل الحجاج هي:

"كل سؤال ابتدأته فاتصل بما يبطل علل المجيب...لأن المتصل به مسهل طريقه مقرب من نتيجته "[٣]، وقولهم أيضاً " اعلم أن سؤال الجدل الذى يقصد به نقل الخصم عن مذهبه بطريق المحاجة وبيانه أن الجواب فيه تابع للسؤال "[٤].

وهو نفس ما ذهب إليه ميشيل ماير صاحب نظرية المساءلة في الحجاج حيث رأي أن السؤال الحجاجي : " يجعل المخاطب في حالة اضطرار إلى الجواب فهو يجعل المخاطب يجيب في الاتجاه الذى يرسمه السؤال "[٥].

وقد رأي العلماء العرب أن " على المجيب إذا كان السؤال مضطربا أن يعمل في تقويمه حياطة لجوابه، إذ كان السؤال المضطرب لايمكن أن يطابقه جواب مستقيم "[٦].

---

(١) الواضح في أصول الفقه، أبو الوفاء بن عقيل، ج١ صـ ٤٢٧
(٢) اللغة والحجاج، أبو بكرالعزاوي، ج١ صـ ١٦
(٣) الواضح في أصول الفقه، أبو الوفاء بن عقيل، ج١ صـ ٤٢٧
(٤) نفسه، ج١ صـ ٣٠٦
(٥) البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشيل ماير، محمد علي القارصي (بحث ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى الآن)، إشراف حمادى صمود، منوبة تونس، مطبوعات كلية الآداب والفنون والعلوم الانسانية، ط١، ١٩٨٨م ، صـ ٣٩٨
(٦) الواضح في أصول الفقه، أبو الوفاء بن عقيل، ج١صـ ٣٠١

كما رأوا أنه " ينبغى للسائل أن ينظر إلى المعنى المطلوب في السؤال فإن عدل المجيب لم يرض إلا بالرجوع إلى جواب ما سأله عنه، فإن كثيرا ممن لا يضبط الجدل ولا يد له فيه يسأل عن شئ فيجيب عن غيره " [١].

ولعلنا نلاحظ أنه كما جعل ديكرو النتيجة تابعة لفعل الحجاج،وكما جعل ماير الجواب تابعا للاتجاه الذى يرسمه السؤال فإن العالم الأصولي أبو الوفاء ابن عقيل قد جعل الجواب أي النتيجة تابعة للسؤال الحجاجي، ولا يخفي حجم التشابه مع اعتبار السبق الزمنى للفهم العربى في هذا الشأن.

الحجج المقامية (حجتا الحال والنصبة)

من النظريات الحديثة في الحجاج التي أصلت لدور المقام في إنتاج الحجاج نظرية المساءلة لميشيل ماير حيث رأي أن الحجاج هو " التفاعل بين الكلام الصريح والكلام المفهوم ضمناً من الخطاب تبعاً لاختلاف المقام ... فأدخل بذلك الحس التداولي في مفهوم الحجاج "[٢].

كذلك فإن ارتكاز نظرية (ماير) على " العلاقة الثنائية بين المتكلم والمستمع بوصفها مكونا أساسيا في العملية الحجاجية يهدف إلى تهيئ الفضاء الأصح لإثارة السؤال وإذكاء المسألة القائمة باستمرار على الحجاج، باعتباره مفاوضة لتقريب المسافة بين السائل والمجيب وتكثيفها حسب مقاصد المقام والسياق "[٣].

أما نظرية الحجاج في اللغة لدى (ديكرو)؛ فإنها أولاً قد همشت إلى حد ما دور المقام في إنتاج الحجاج، على أساس أن الحجاج يؤشر له في

---

(١) نفسه ، ج١ صـ ٣٠١

(٢) الحجاج في القرآن الكريم، عبدالله صولة، صـ ٣٧-٣٨

(٣) عنما نتواصل نغير، عشير عبدالسلام، صـ ٢٠٥

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

"بنية الأقوال نفسها وفي المعنى وفي كل الظواهرالصوتية والصرفية والمعجمية والتركيبية"(١)، بعيداً عن المقام وعن كل ماهو خارج اللغة .

إلا أنه في التصورات الأخيرة لدى (ديكرو) نلاحظ أنه قد جعل الحجة "عبارة عن عنصر دلالي يقدمه المتكلم لصالح عنصر دلالي آخر، والحجة قد ترد في هذا الإطار على شكل قول أو فقرة أو نص أو قد تكون مشهداً طبيعياً أوسلوكاً غير لفظي "(٢)، وفي هذا استدعاء لدور المقام في إنتاج الحجاج .

وفي إطار ما سبق أشير إلى أن علماء أصول الفقه في إطار درسهم للحجاج أو الجدل، لم يغفلوا دور المقام في إنتاج الحجاج، ونصوا على لفظ السياق، فقالوا إن الحجاج " قد يكون مستفاداً من السياق، وإنه قد يدل على العلة كما يدل على غيرها "(٣).

وقد جاء عنهم فيما يخص الحجج المقامية :

" وكل حجة هي بيان يشهد بمعنى حكم من الأحكام ولا يخلو البيان الذى هو حجة من خمسة أقسام : لفظ وخط، وعقد، وإشارة، وحالة " (٤).

ولعل حديث ديكرو عن حجة السلوك غير اللفظي يتفق مع ما يسمى عند القدماء بحجة الحالة، إذ رأي علماء الأصول أن " كل حجة تجب من جهة الحس، فهي من باب الحال لأن كل حس حال"(٥).

فالحال هنا يشير إلى السلوك غير اللفظي، وهو عند القدماء يمثل دلالة على مسارب الحس، فحجة الحالة تنتمى إلى حيز المقام بحيث لا تتقوم

---

(١) اللغة والحجاج، أبوبكرالعزاوي، ص٨
(٢) اللغة والحجاج، أبوبكرالعزاوي، صـ ١٨
(٣) إرشاد الفحول في تحقيق الحق في علم الأصول، الشوكاني، ج٢ صـ ١٤٧
(٤) الواضح في أصول الفقه، أبو الوفاء بن عقيل، ج١ صـ ٣٣١
(٥) نفسه، ج١صـ ٣٣١

إلا من خلاله، على أساس أن حجة الحال " دلالتها تظهر بأن يكون عليها الشيء ثم يزول أو لا يكون عليها ثم يصير "(١).

ولا شك أن هذا من ملابسات المقام فهي حجة مقامية أوفوق لفظية فتكون ضوابط المقام هي مصادر الحس، وذلك "كالمبصرات والمذوقات والأجسام والأشكال وما أشبه ذلك "(٢).

وقد جعلوا النصبة تشارك الحال في إثبات المقام فقالوا:" والنصبة تشارك الحال وهي انتصاب الجسم وما يشاهد عليه من قيام وقعود وانحراف إلى بعض الجهات المحيطة به وهي ست جهات فوق وتحت وأمام وخلف ويمين وشمال"(٣).

ومثلوا لها بـ " خروج الجسم من حال إلى حال تنقلب الأعراض عليه... وكخروج العين من حكم إلى حكم.. مثاله خروج الطفلة بالبلوغ إلى حيز التكليف والرشد فيستدل بذلك على تغير حال الولي من رتبة الإخبار إلى رتبة الاستئذان "(٤).

ومثلوا لدلالة الحال بـ" خروج العبد بالتكاتب من حال تملك سيده لأروش خباياته وأكسابه إلى حال صار هو المالك لها ... وخروج العبد عن المالية بالحرية"(٥).

---

(١) الواضح في أصول الفقه، أبو الوفاء بن عقيل ، ج١ صـ ٣٣١

(٢) البرهان في وجوه البيان، ابن وهب الكاتب، ت : أحمد مطلوب، خديجة الحديثى، بغداد، مكتبة العاني، ط١٩٦٧،١م صـ ٧١

(٣) نفسه، صـ ٧٤

(٤) الواضح في أصول الفقه، أبو الوفاء بن عقيل، ج١ صـ ٣٣١

(٥) نفسه ، ج١ صـ ٣٣١

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

والحجة المقامية " فهي بمنزلة الناطقة ... من حيث يجدالعاقل معنى النطق في نفسه عند حضور المعنى على قلبه "(١).

فالمعنى جاء من خلال دلالة الحال لا من خلال اللفظ فأصبحت الحجة بمثابة الناطقة وهي ليست كذلك.وقد اعتنى القدماء بحجة الحال إلى الدرجة التي جعلوا فيها السكوت نفسه حجة فقالوا " وأما السكوت ...حجة"(٢).

والسكوت هو مضاد التلفظ بلا شك وهو أعلى مراتب حجة الحال لدى القدماء ،. فقد قالوا " أما ماثبت بقول بعضهم أو فعله وسكوت الباقين ... فذلك حجة "(٣).

فجعلوا سكوت العلماء حجة على ثبوت القول أو الفعل المسكوت عنده حين صدوره عن غيرهم من العلماء.

أما عن تأثير الحجة فإنه " إحضار المعنى إلى النفس بالشهادة له أنه حق...ولربما كانت الشهادة بالإفصاح وربما كانت بالتعريض في الكلام أو في الحال "(٤) أما حجة المشهد الطبيعى الذى قدمه ديكرو فقد تعرض لها الجاحظ في كتابه البيان والتبيين، وجعلها حجة تخضع لدلالة النصبة، حيث قال : "وأما النصبة فهي الحال الناطقة بغير اللفظ والمشيرة بغير اليد "(٥).

ثم تطرق إلى حجة المشهد الطبيعي مقتبسا قول أحد الخطباء الذى لم ينص على اسمه، فقال : " أشهد أن السموات والأرض آيات دالات وشواهد

---

(١) الواضح في أصول الفقه ، أبو الوفاء بن عقيل، ج١صـ ٣٣١
(٢) نفسه، ج١ صـ ٢٩٠
(٣) نفسه ، ج١، صـ ٢٩٠
(٤) نفسه،ج١ صـ ٣٤١
(٥) البيان والتبيين، أبو عثمان بن بحر الجاحظ، ت: درويش جويدى، المكتبة العصرية، صيدا- لبنان، ط٢،٢٠٠٠م، ج١ صـ ٨١

قائمات، كل يؤدى عنك الحجة "[١]، فجعل المشهد الطبيعي وهو خلق السموات والأرض حجة على ربوبية الخالق جل وعلا.

ومن أبلغ مايدل على حجة السلوك غير اللفظي ما جاء في القرآن الكريم في سورة يوسف في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلاَ أَن رَّأي بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾[٢].

فالقرآن الكريم قد صمت عن تفسير ماهية هذا البرهان أي الحجة اليقينية على نبوة يوسف، والتي لم تكن قد أسندت إليه بعد إذ كان لازال شاباً ومقام النبوة في سن الأربعين على ما كان من سياق القصة.

وترك المفسرون وأرباب التأويل يذهبون في تفسيرها كل مذهب وكلها تفسيرات تشير إلى حجج ذات مواقف سلوكية لم يذكرها النص، وكل مفسر حسب رؤيته واجتهاده .

فمنهم من اختار ما جاء " عن ابن عباس أنه عليه السلام مثل له يعقوب عليه السلام فضرب بيده على صدره "[٣] ومنه " عن قتادة أنه قال ذكر لنا أنه مثل له يعقوب عاضا على إصبعيه "[٤]، ومنها أنه " نودى يا ابن يعقوب لا تكونن كا لطير له ريش فإذا زنى قعد ليس له ريش"[٥].

أما حجة الخط فقد تحدث عنها ابن وهب الكاتب من خلال حديثه عن دور الكتابة في تخليد النصوص ومن ثم تصبح هذه النصوص بمزية كونها مكتوبة حجة على الناس، يقول:

---

(١) البيان والتبيين، أبو عثمان بن بحر الجاحظ،، ج١ صـ ٨١
(٢) القرآن الكريم، سورة يوسف / ٢٤
(٣) روح المعاني، الألوسي، ج١٢ صـ ٢١٤
(٤) نفسه، ج١٢ صـ ٢١٤
(٥) نفسه، ج١٢ صـ ٢١٤

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

"إن الله تعالى ألهم عباده تصوير كلامهم بحروف اصطلحوا عليها فخلدوا بذلك علومهم لمن بعدهم ... وبلغوا الغاية التي قصدها عز وجل في إفهامهم وإيجاب الحجج عليهم ولولا الكتاب الذى قيّد على الناس أخبار الماضين لم تجب حجة الأنبياء"(١)؛ فابن وهب الكاتب قد جعل الكتابة أو الخط، هو حجة الأنبياء لأنه لولا الكتاب الذى دون بالخط والكتابة، لم تجب حجتهم على الناس.

السلم الحجاجي ومراتب الحجج

تحدث اللغوي الفرنسي ديكرو في نظرية الحجاج في اللغة عما أسماه السلالم الحجاجية بمعنى أن الحجج " تشكل سلماً ينطلق من أضعف حجة حتى يصل إلى أقواها ولذلك سميت بالسلالم الحجاجية "(٢).

والملاحظ أن السلالم الحجاجية في هذه النظرية تتشابه مع الفهم العربي لتدرج الحجج، إذ تحدث علماء أصول الفقه عن مراتب الحجج حيث قسموا الحجج إلى مراتب كل مرتبة هي أقوى من الأخرى وأقرب منها إلى نتيجة المحاجة .

ذلك أنهم قد رأوا أن" مراتب الحجج هي مواضع المقدمات بلغة الأصوليين وهي أوصاف العلة بلغة الفقهاء ...وتكون على السياق من الأول إلى الثاني ومن الثاني إلى الثالث ومن الثالث إلى الرابع ثم على ذلك إلى آخر مقدمة " (٣).

---

(١) البرهان في وجوه البيان، ابن وهب الكاتب ، صـ ٦٢

(٢) نظرية الحجاج في اللغة (ديكرو)، شكري المبخوت، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم،إشراف حمادى صمود، منوبة تونس، مطبوعات كلية الآداب والفنون والعلوم الانسانية، ط١، ١٩٨٨ م صـ ٣٦٤

(٣) الواضح في أصول الفقه، أبو الوفاء بن عقيل، ج١صـ ٣٤٣

فالحجة تبعاً للفهم الحجاجي العربي تكون " ذات مقدمة ومقدمتين وثلاث مقدمات إلى أن تنتهي إلى نتيجة صادقة "[١]، والمقدمة هي " كل ما إذا قدم فكان أولاً ظهر منه ثانٍ كائناً ما كان"[٢].

وقد تعرضوا إلى طريقة سياقة هذه الحجج بحيث تكون في اتجاهٍ صاعدٍ من المرتبة الأقل إلى المرتبة الأعلى أو تكون في اتجاهٍ نازلٍ من المرتبة الأعلى إلى المرتبة الأقل، وذلك " أن تسوق المقدمات على طريقتين من أولها إلى آخرها ومن آخرها إلى أولها "[٣].

وقد نبّهوا إلى الكيفية التي يكون فيها العلاقات بين أدلة هذه الحجج وهي على طريقتين أيضاً؛ الأولى " أن يشهد الدليل الأول بالثاني والثاني بالثالث إلى آخر مرتبة ... والآخر أن يحضر الأول الثاني والثاني الثالث إلى حيث تنتهي مراتبه "[٤].

وانتهاء المراتب يكون بالحجة التي تقترب من النتيجة فكل حجة تصل إلى حجة في مرتبة أعلى منها بمعنى أنهم قد جعلوا الحجج على مراتب كل حجة تصل إلى الحجة التي تليها حتى تصل إلى النتيجة.

والفرق بين الحضور والاستشهاد يرجع إلى الطريقة المستخدمة في استخراج المعنى الحجاجي لأن استخراج المعنى عند القدماء يكون : " إما بالسؤال وإما ما كان بمنزلة السؤال من الاستشهاد "[٥]، على ما سبق أن أشرت.

---

(١) الواضح في أصول الفقه، أبوالوفاء بن عقيل ، ج١ صـ ٣٢١
(٢) نفسه، ج١ صـ ٣٢١
(٣) نفسه، ج١ صـ ٣٤٣
(٤) نفسه، ج١ صـ ٣٤٣
(٥) نفسه ، ج١ صـ ٤٥٤

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

و"الاستشهاد يعنى الجمع بين شيئين يشهد أحدهما إلى الآخر مباشرة"(١)، فيكون الحضور خاصاً بالمعنى اللغوي أي اللفظي المعتمد على السؤال، أما الاستشهاد فيختص بالمنحى المقامي والدليل فوق اللغوي بمعنى الأدلة المرئية.

مثال ذلك ما جاء في القرآن الكريم عن قميص يوسف، فإنه حجة على عدم موته وبرهان قطعي ويعد من الحجج المقامية.

ويخضع لطريقة الاستشهاد وهو أن يأتى بشاهد أو دليل على القضية عيانا دون الحاجة إلى الكلام، فيجيب المجيب دون أن يسأل " لأن المجيب إذا كان مستشهدا للدليل فكأنه مستخبر له مستخرج ما عنده "(٢).

والقضية هنا عدم موت يوسف، ثم إن الحجة على ذلك هو القميص وهي دليل مرئي ومن ثم تكون النتيجة هي حتمية رجوعه إلى والده يعقوب.

وهذه الحجة تشبه حجة المشهد الطبيعي عند ديكرو من باب أن القميص يدل على شيء متعين يمكن الاستدلال به وليس موقفاً سلوكياً.

(١) الواضح في أصول الفقه، أبوالوفاء بن عقيل ، ج١ صـ ٤٥٥
(٢) نفسه، ج ١ صـ٤٥٥

خاتمة

لعله قد استبان لنا من السرد السابق دور العلماء العرب القدامى من الأصوليين في ترسيم وإثبات نظرية لغوية حجاجية مكتملة الأركان؛ حيث اشتملت هذه النظرية على مفاهيم تتصل بالدرس اللغوي الحديث فيما يخص الدراسات الحجاجية بما هي علم عنى به الدرس الغربي في العصر الحديث، مما يدل على أولية وسبق الدرس اللغوي العربي القديم في مجال الدراسات الحجاجية.

ومن هذه المفاهيم مفهوم الحجاج وروافده مثل : مفهوم القصد وهو مفهوم حديث ارتبط بمعايير النصية كما قدمه دى بوجراند إلا أن القدماء قد قدموا هذا المفهوم أيضاً بوصفه أحد معايير النصية مع تخصيصهم إياه بالنص الحجاجي.

وقد عبر علماء أصول الفقه عن مفهوم القصد بمفهوم الجهة وتحدثوا عن دوره في عملية التواصل بين الفاعل للفعل الحجاجي والمتلقي.

إلى جانب ذلك فقد تحدث القدماء عن تمثل الحجاج في الأساليب اللغوية المختلفة؛ الأمر الذى يتفق مع الاتجاهات الحديثة في اللغة التي تجعل الحجاج يتمثل في البناء اللغوي كما هو متمثل في المعنى.

حيث جعلوا الحجة تأتى في صورة الخبر والاستخبار وفي صورة الأمر والنهي كما أنها تأتى حجة مجازية كما فرقوا بين الحجاج العربي الذى يتقوّم من خلال الأساليب اللغوية المختلفة وبين الجدل الأرسطي الذى يقدم المعنى في شكلٍ لغويٍ واحد .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بالإضافة إلى ما سبق فقد أثبت القدماء دور المقام في تقديم المعنى الحجاجي من خلال ترسيم الفعل الحجاجي عبر استشهاد الدليل الذى يقوم مقام السؤال.

إلى جانب إثبات دور المقام في ترسيم الحجج مثل حجة المشهد الطبيعي والموقف غير السلوكي الذين عبر عنهم القدماء بحجة الحالة.

كذلك فقد تحدث القدماء عن مراتب الحجج وكيف تؤدى كل حجة إلى حجة أخرى حتى نصل إلى النتيجة الحجاجية، وهو ما يتفق مع ما جاء في نظرية الحجاج في اللغة عن السلالم الحجاجية.

وتشير السلالم الحجاجية إلى تعاقب الحجج بشكل تدريجي،حيث تؤدى كل حجة إلى الحجة التي تليها، مع مراعاة أن الفهم العربي جعل مراتب الحجة إما في اتجاه صاعد وهابط من الحجة الأدنى إلى الحجة الأعلى، أو في اتجاه هابط من الحجة الأعلى إلى الحجة الأدنى، وهو الأمر الذى يختلف فيه مع الدرس الحديث الذى جعل الحجج تسير في اتجاه واحد فقط من الأدنى إلى الأعلى.

قائمة المصادر والمراجع

١- الإفريقي، ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، ت : عبدالله علي الكبير- محمد أحمد حسب الله – هاشم محمد الشاذلي – سيد رمضان أحمد، ط١، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٢- الألوسي، شهاب الدين السيد محمود شكري، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، ت: علي عبدالباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٣- الآمدي، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبى علي ، الإحكام في أصول الأحكام، ت : عبدالرازق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت،ط٢، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٠ م .

٤- أوستن، جون لانكشو، نظرية أفعال الكلام العامة ، ترجمة: عبدالقادر قنيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط٢٠٠٨،٢م .

٥- الباجي، الحافظ أبوالوليد، المنهاج في ترتيب الحجاج، ت: عبدالمجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٣، ٢٠٠٨م.

٦- البخاري، عبدالعزيز بن أحمد علاء الدين الحنفي، كشف الأسرار شرح أصول البزدوي، ت: عبدالله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .

٧- البخاري، الإمام محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ت. محب الدين الخطيب، محمد فؤاد عبد الباقى، المطبعة السلفية، القاهرة، ط١، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م.

٨- الترمذي، الإمام محمد بن سورة، الجامع الصحيح (سنن الترمذي)، ت: أحمد شاكر، ومحمد فؤاد عبدالباقى وإبراهيم عطوة، القاهرة، مطبعة البابي الحلبي، ط٢، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

٩- الجاحظ، أبو عثمان بن بحر، ت: درويش جويدى، المكتبة العصرية، صيدا- لبنان، ط٢، ٢٠٠٠م.
١٠- الجويني، أبو المعالي عبدالملك، الكافية في الجدل، ت: فوقية حسين محمود، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة،ط١، ١٩٧٩م .
١١- آل راضى، الشيخ محمد طاهر، بداية الوصول في شرح كفاية الأصول، ت. محمد عبدالحكيم، العراق، مطبعة ستارة، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
١٢- ابن رشد، تلخيص القياس لأرسطو، ت : عبدالرحمن بدوي، السلسلة التراثية (١٧)، الكويت، ط١، ١٩٨٨م.
١٣- الرضي، الشريف محمد بن الحسن الاستراباذي ، شرح كافية ابن الحاجب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ- ١٩٦٦م.
١٤- الريفي، هشام، الحجاج عند أرسطو، (بحث ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى الآن)، إشراف: حمادي صمود، مطبوعات كلية الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس، ط١، ١٩٨٨م.
١٥- سالم، محمد، الحجاج في البلاغة المعاصرة ،دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م .
١٦- الشوكاني، محمد بن علي، إرشاد الفحول في تحقيق الحق في علم الأصول، ت : سامى بن العربي الأثري، القاهرة، دار الفضيلة ط١، ١٤١٢هـ - ٢٠٠٠م .
١٧- صولة، عبدالله، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت ، ط١، ٢٠٠٧م .

١٨- الحجاج أطره ومنطلقاته، (بحث ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى الآن)، إشراف : حمادي صمود، مطبوعات كلية الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس، ط١، ١٩٨٨م .
١٩- ابن أبى طالب، الإمام علي، ديوان الإمام علي، ت: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
٢٠- طروس، محمد، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية ، دار الثقافة، المغرب، ط١، ٢٠٠٥م .
٢١- الطوفي ، نجم الدين، الجذل في علم الجدل، ت: فولفهارت هاينريشس، دار النشر فرانزشتانير بفيسبادن، سلسلة النشرات الاسلامية، طبع مؤسسة الابحاث العلمية الألمانية، الأردن، عمان، مطبعة، كتابكم،ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م
٢٢- عبدالسلام، عشير، عنما نتواصل نغير- مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء،ط١، ٢٠٠٦م.
٢٣- العزاوي، أبوبكر، اللغة والحجاج ، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٦م.
٢٤- الحجاج والمعنى الحجاجي، ضمن سلسلة ندوات ومناظرات بعنوان التحجاج طبيعته حمو النقاري وآخرون، جامعة محمد الخامس، الرباط، ط١، ٢٠٠٦م.
٢٥- أبوغزالة، إلهام – حمد، علي خليل ،مدخل إلى علم لغة النص، تطبيقات لنظرية روبرت ديبو جراند وولفجانج دريسلر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،ط٢، ١٩٩٩م.
٢٦- القارصي، محمد علي، البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشيل ماير، (بحث ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

أرسطو إلى الآن)، إشراف حمادى صمود، منوبة تونس، مطبوعات كلية الآداب والفنون والعلوم الانسانية، ط١، ١٩٨٨م .

٢٧- القرطاجني، حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ت: الحبيب بن الخوجة، دار الكتاب العربي، تونس، ط١، ٢٠٠٨ م .

٢٨- القشيري، الإمام مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم، ت: محمد الفاريابي، دار طيبة، القاهرة، ط١، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

٢٩- ابن القيم،، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ت: محمد عبدالسلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م

٣٠- الكاتب، ابن وهب، البرهان في وجوه البيان ، ت : أحمد مطلوب، خديجة الحديثى، بغداد، مكتبة العاني، ط١٩٦٧،١م.

٣١- المبخوت، شكري، نظرية الحجاج في اللغة (ديكرو) ، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم،إشراف حمادى صمود، منوبة تونس، مطبوعات كلية الآداب والفنون والعلوم الانسانية، ط١، ١٩٨٨ م .

٣٢- نحلة،، محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الأسكندرية، ط١، ٢٠٠٢م.

٣٣- أبوالوفاء، علي عقيل، الواضح في أصول الفقه، ت : عبدالله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١.	ملخص	١٠٤٠٧
٢.	Abstract	١٠٤٠٨
٣.	المقدمة	١٠٤٠٩
٤.	مصطلح الحجاج وروافده (القصد - الإشارة – الأثر الحجاجي):	١٠٤١٢
٥.	المعنى الحجاجي و الحجج المجازية :	١٠٤٢٠
٦.	المبنى الحجاجي: (الأدوات اللغوية الحجاجية)	١٠٤٢٦
٧.	الفعل الحجاجي:	١٠٤٣٥
٨.	الحجج المقامية (حجتا الحال والنصبة)	١٠٤٤٥
٩.	وقد جاء عنهم فيما يخص الحجج المقامية :	١٠٤٤٦
١٠.	السلم الحجاجي ومراتب الحجج	١٠٤٥٠
١١.	خاتمة	١٠٤٥٣
١٢.	قائمة المصادر والمراجع	١٠٤٥٥
١٣.	فهرس الموضوعات	١٠٤٥٩

تم بحمد الله